

٩ سلسلة نساء النبي ﷺ للأطفال

حفيدة الأنبياء

صفية بنت حبي

رضي الله عنها

محمد القاضي

دار الفكر

سلسلة نساء النبي ﷺ
(٩)

حَفِيدَةُ الْأَنْبِيَاءِ
صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ
رضى الله عنها

تأليف
محمد محمود القاضي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى للناشر
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ٢٠٠٥/١٥٦١٩

الترقيم الدولي: I.S.B.N

977-265-654-X

دار التوزيع والنشر الإسلامية



مصر - القاهرة - السيدة زينب ص.ب ١٦٣٦
٢٥١ ش بور سعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٣٩٣١٤٧٥
مكتبة السيدة : ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١

www.eldaawa.com
[email:info@eldaawa.com](mailto:info@eldaawa.com)

فتح خيبر

كان صلح الحديبية بداية مرحلة جديدة فى حياة الدولة الإسلامية، فقد آمن الرسول ﷺ مكائد قريش، لذلك حانت الفرصة لكى يحاسب الرسول ﷺ يهود خيبر على ما اقترفوه فى حق الإسلام والمسلمين، فهم الذين جَمَعُوا الأحزاب ضد المسلمين، وأثاروا بنى قريظة على الغدر والخيانة، وكانوا على اتصال بالمنافقين فى المدينة وبقية أعداء المسلمين من أهل الجزيرة، وتآمروا على قتل الرسول ﷺ، وكانوا يتحينون الفرصة لقتال المسلمين؛ لأجل كل ذلك قرر الرسول ﷺ الخروج إلى خيبر فى شهر المحرم فى السنة السابعة من الهجرة. وخيبر مدينة كبيرة ذات حصون منيعة ومزارع غنية على بعد مائة ميل من المدينة فى جهة الشمال.

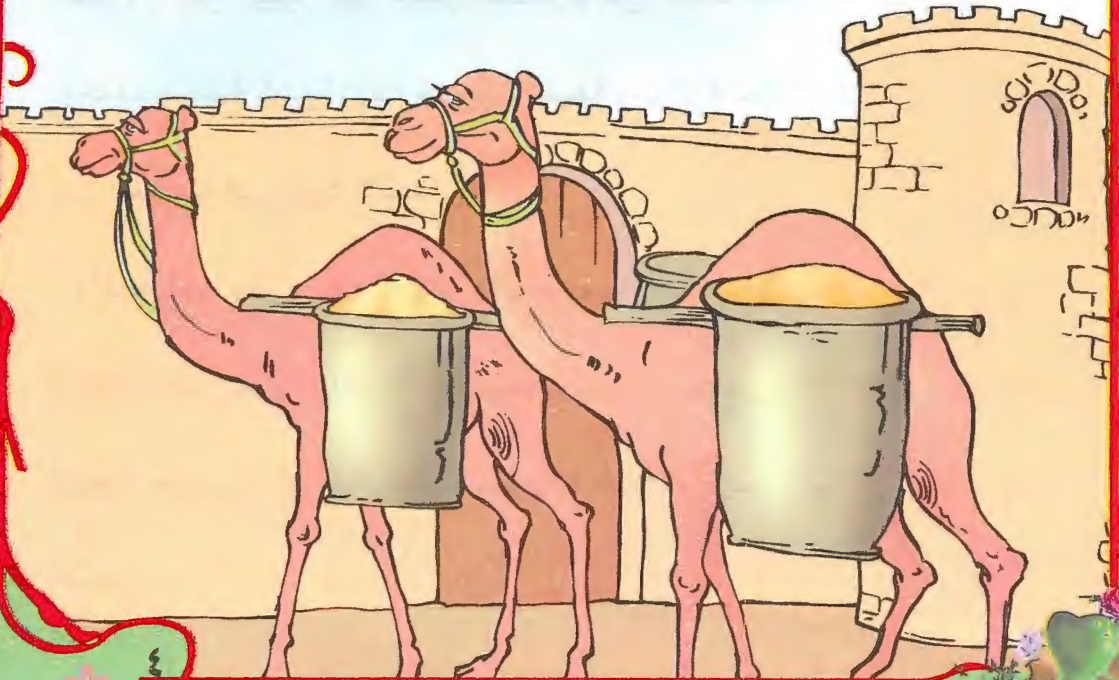
وأنعم الله على رسوله ﷺ والمسلمين بفتح خيبر، وغنم المسلمون منها غنائم كثيرة وأموالاً عظيمة، فعن ابن عمر قال: ما شبعنا حتى فتحنا خيبر. وعن عائشة قالت: لما فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من

التمر.

صفية بنت حيى:

بنيته رتة

كان الرسول ﷺ فى أثناء فتح خيبر قد أحكم حصاره على حصن أبى الحقيق من حصون خيبر، وكان يسمى القموص، فأيقن من به من اليهود أنه لا مفر أمامهم من المسلمين، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ ليصالحوه على حقن دمائهم هم وأولادهم فى مقابل أن يتركوا أموالهم وأرضهم غنيمة للمسلمين، فصالحهم الرسول على ذلك بشرط ألا يكتموا شيئاً من أموالهم، وإلا برئت منهم ذمة الله وذمة رسوله، ولكن حدث أن أخفى ابنا أبى الحقيق أموالاً كثيرة وحلياً لحيى بن أخطب عندما أخرجه الرسول ﷺ من النضير، وبذلك نقض اليهود صلحهم مع الرسول، فأمر



النبي بقتل ابنى أبى الحقيق، ومبلى رسول الله صفية بنت حى بن
أخطب، وكانت زوجة لكانة بن الربيع بن أبى الحقيق، وكانت آنذاك
عروساً حديثة عهد بالدخول.

وكانت صفية قد تزوجت قبل كانة سلام بن مشكم، ثم طلقها فتزوجها
كانة بن الربيع بن أبى الحقيق، ولم تكن ولدت لأحد منهم شيئاً. وقد
كان كانة من شعراء اليهود.

ووالد صفية هو حى بن أخطب بن سعية بن ثعلبة بن عبيد بن كعب
بن الخزرج بن أبى حبيب بن النضير، وكان من زعماء بنى النضير، وكان
النبي ﷺ قد أجلى بنى النضير من المدينة لما غدروا برسول الله ﷺ
وهموا بقتله على الرغم من عهده معه، وكانوا قد خرجوا إلى خيبر
والشام، وكان حى والد صفية من الذين ذهبوا إلى خيبر ومعه أشراف
بنى النضير، وكان حى يكنى العداوة لرسول الله ﷺ، ويسعى لعداوته
فى كل مكان، وظل على ذلك حتى قُتل فى غزوة بنى قريظة.
وكانت أم صفية إحدى نساء بنى قينقاع أحد بنى عمرو.

إسلام صفية بنت حبي، وزواجها من رسول الله .

وكانت صفية عندما سبيت وقعت في سهم دحية الكلبي، فكلم بعض الصحابة رسول الله ﷺ بشأنها قائلين له: صفية سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك، فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه، وعوض دحية عنها سبعة أرؤس، فلما قابلها النبي ﷺ عرض عليها الإسلام قائلاً: اختاري.. فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسى، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقى بقومك .

فقالت صفية: يا رسول الله، لقد هويت الإسلام، وصدقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلى رحلك، وما لى فى اليهودية أرب وما لى فيها والد ولا أخ، وخيرتني الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحب إلى من العتق وأن أرجع إلى قومي .

ولم يكن إسلام صفية أمراً غريباً على مثلها، فهي امرأة شريفة عاقلة ذات حسب، حيث يرجع نسبها إلى سبط اللاوي بن نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم -عليهم السلام-، ثم من ذرية رسول الله هارون -عليه السلام- .

وقد حدثت أمور كثيرة أمام عينها وهى بين قومها أكدت لها صدق

رسول الله ﷺ، وأنه نبي من الله حقًا، وتحكى صفية -رضى الله عنها-

أنها كانت قريبة من قلب أبيها وعمها، تقول صفية: لما قدم رسول الله

ﷺ قباء قرية بنى عمرو بن عوف غدا إليه أبى وعمى أبو ياسر بن

أخطب، فوالله ما رجعا إلا مع مغيب الشمس، فرجعا فاترين كسلانين

ساقطين يمشيان الهوينى، فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما

نظر إلى واحد منهما، فسمعت عمى أبا ياسر يقول لأبى: أهو هو؟

قال: نعم والله. قال: تعرفه بنعته وصفته؟

قال: نعم والله. قال: فماذا فى نفسك منه؟

قال: عداوته والله ما بقيت!!.

وهناك موقف آخر تأكد لصفية فيه صدق رسول الله ﷺ، فإن عمها

أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله المدينة ذهب إليه وسمع منه

وحادثه، ثم رجع إلى قومه فقال: يا قوم، أطيعون فان الله قد جاءكم

بالذي تنتظرون فاتبعوه ولا تخالفوه، فانطلق أخوه حى بن أخطب وهو

يومئذ سيد اليهود وهما من بنى النضير فجلس إلى رسول الله ﷺ

وسمع منه، ثم رجع إلى قومه وكان فيهم مطاعاً فقال: أتيت من عند

رجل والله لا أزال له عدوًّا أبداً. فقال له أخوه أبو ياسر: يا ابن أم،

أطعنى فى هذا الأمر واعصنى فيما شئت بعده لا تهلك. قال حىي:
لا والله لا أطيعك أبداً واستحوذ عليه الشيطان.

أما أكثر المواقف تأثيراً فى حياة صفية، والذي جعلها تقبل على
الإسلام عندما عرضه عليها رسول الله ﷺ، أنها رأت فى بداية زواجها
من كنانة بن الربيع رؤيا عجيبة؛ فقد رأت فى منامها كأن القمر أقبل
من يثرب فسقط فى حجرها، فقصت رؤياها على ابن عمها فلطم
وجهها، وقال: أأتمنين ملك يثرب أن يصير بعلك.. فما كان إلا مجيء
رسول الله وحصاره إياهم، ووقوعها فى الأسر..

وبعد أن تزوجها النبى ﷺ رأى خضرة تحت إحدى عينيها من أثر تلك

اللظمة، فسألها عن سبب ذلك فحكّت لرسول الله ﷺ ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصالحة -رضى الله عنها- وأرضاهها، وما فعله بها زوجها عندما قصت عليه الرؤيا.

ولعل كلمات الرسالة التي أرسلها النبي ﷺ إلى يهود خيبر يدعوهم فيها إلى الإيمان بالله ورسوله كانت قد وقعت على مسامع صفية وهى العاقلة الرشيدة موقعاً حسناً، فقد كتب الرسول ﷺ إليهم قبيل غزوهم قائلاً:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله صاحب موسى وأخيه والمصدق بما جاء به موسى، ألا إن الله قال لكم يا معشر يهود وأهل التوراة: إنكم تجدون ذلك في كتابكم إن محمداً رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا، وإنى أنشدكم بالله، وبالذي أنزل

عليكم، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسلافكم وأسباطكم
المن والسلوى، وأنشدكم بالذي أيبس البحر لأبائكم حتى أنجاكم من
فرعون وعمله إلا أخبرتمونا هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا
بمحمد، فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم قد تبين
الرشد من الغى وأدعوكم إلى الله وإلى نبيه.

ثم أن النبي ﷺ لما ظهرت صفية تزوجها وجعل عتقها صداقها، وبنى
بها رسول الله ﷺ بالصهباء في جمادي الآخرة سنة سبع من الهجرة،
وكان عمرها يوم دخل بها رسول الله ﷺ سبع عشرة سنة.

وكانت التي تولت تهيئتها وإعدادها لدخول الرسول ﷺ عليها الصحابية
الجليلة أم سليم بنت ملحان أم أنس -رضى الله عنها-، وأركبها الرسول
ﷺ وراءه على البعير وحجبها وأولم عليها، فكانت وليمته السمن والأقط
والتمر.

ويروى أن الرسول ﷺ لما رجع من خيبر أراد أن يدخل بصفية في
مكان قريب من خيبر ويبعد عنها عدة أميال فأبت صفية فوجد النبي
ﷺ في نفسه من ذلك، فلما كان بالصهباء وهى على بعد مسافة كبيرة
من خيبر دخل بصفية وأنس بها، وظل طوال الليل يحدثها، وكان من

حديثه معها أن ذكر لها الأسباب التي دعتة إلى قتل أبيها وزوجها،
فأذهب الله ما في نفسها من قتل أبيها وزوجها، وسر النبي ﷺ منها،
وقال لها: ما حملك على الذي صنعت حين أردت أن أنزل المنزل الأول
فأدخل بك؟

فقالت صفية: خشيت عليك قرب يهود.. فزادها ذلك عند رسول الله
ﷺ. وبلغ من مراعاة الرسول ﷺ لخاطرها بعد ذلك أنه لم يسمع النبي
ﷺ ذاكراً أباهما بحرف مما تكره.

وربما كان بعض الصحابة يخشى على رسول الله ﷺ من صفية في
بداية العهد بها، فلما أعرس رسول الله ﷺ بصفية بخير أو ببعض
الطريق، وبات بها رسول الله ﷺ في قبة له، بات أبو أيوب متوشحاً
بسيفه يحرس رسول الله ﷺ ويدور حول القبة حتى أصبح، فلما رأى



رسول الله ﷺ مكانه قال: ما لك يا أبا أيوب؟ قال: خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلت أباهما وزوجها وقومها وكانت حديثاً عهد بكفر فخفتها عليك.. فضحك رسول الله ﷺ وقال له خيراً، أو قال له: اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني.

وبلغ من إكرام النبي ﷺ لها أنها كانت إذا أرادت أن تركب الناقة يسترها بعباءة، ثم يجلس عند بغيره فيضع ركبته، وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب.

ويحكى أن الرسول ﷺ لما أركبها وراه على البعير تعثر بهما فوقعا وسلمهما الله تعالى، فنزل أبو طلحة -رضي الله عنه- عن راحلته فأتى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله، هل ضرك شيء؟ قال لا، عليك بالمرأة، فألقى أبو طلحة ثوبه على وجهه وسار ناحية صفية، وألقى الثوب عليها فقامت، فشدها على راحلته فركبت وركب النبي ﷺ.

صفية في بيت النبي ﷺ:

لم يكن دخول صفية في بيت النبي ﷺ حدثاً عادياً عند زوجات النبي ﷺ، فقد كانت صفية ذات حلم ووقار وجمال ودين، فإن الرسول ﷺ لما قدم من خيبر ومعه صفية أنزلها، فسمع بجمالها نساء الأنصار فجئن ينظرن إليها، وكانت غائشة متتعبة حتى دخلت فعرّفها النبي ﷺ.

ﷺ، فلما خرجت خرج فقال: كيف رأيت؟ قالت: رأيت يهودية! قال: لا تقولي هذا فقد أسلمت.

وكان مع عائشة فى هذا الموقف زينب بنت جحش وحفصة وجويرية، فقالت زينب لجويرية: يا بنت الحارث، ما أرى هذه الجارية إلا ستغلبنا على عهد رسول الله! فقالت جويرية: كلا إنها من نساء قل ما يحظين عند الأزواج.

ولكن صفية -رضى الله عنها- استطاعت أن تتال مكانة عظيمة فى نفس رسول الله ﷺ لحسن أخلاقها وعظيم محبتها لرسول الله ﷺ، فلم يكن رسول الله ﷺ زوجاً مثل أى زوج، فهو أكرم خلق الله، وخير الناس لنسائه.

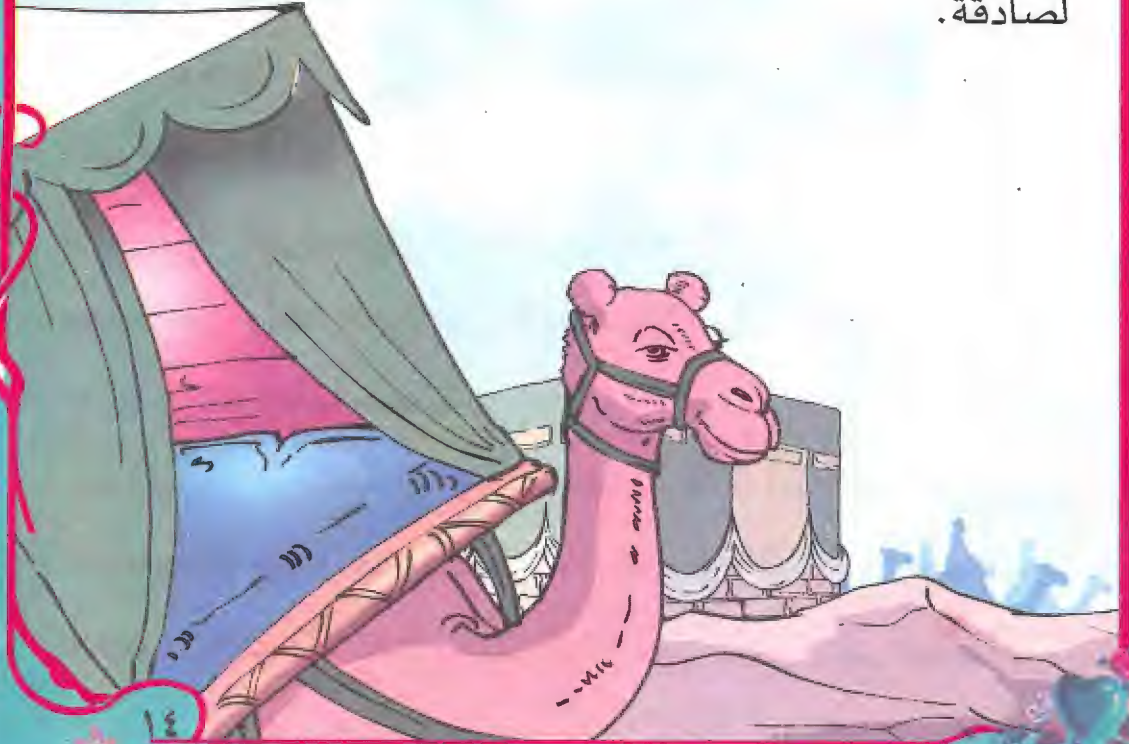
وذات يوم، بلغ صفية أن حفصة قالت لها: إنك بنت يهودي! فبكت صفية فدخل عليها النبي ﷺ وهى تبكى، فقال: ما شأنك؟ قالت: قالت لي حفصة: إني بنت يهودي! فقال لها النبي ﷺ: إنك لبنت نبى، وإن عمك لنبى، وإنك لتحت نبى، فبم تفخر عليك؟! ثم قال النبي ﷺ لحفصة: اتق الله يا حفصة.

ومرة أخرى بلغ صفية أن عائشة وحفصة قالتا: نحن أكرم على رسول الله منها، نحن أزواجه وبنات عمه، فلما دخل النبي ﷺ عليها ذكرت له ذلك فقال لها: ألا قلت: وكيف تكونان خيراً مني وزوجى محمد، وأبى

هارون، وعمى موسى.

وكانت صفية عندما دخلت بيت النبوة علمت مكانة فاطمة بنت رسول الله ﷺ من قلب أبيها، فأنزلتها صفية من قلبها مكانة عظيمة إكراماً لرسول الله ﷺ، وكان في أذن صفية خرصة من ذهب ﷺ (قطعة ذهبية تتزين بها) فوهبت لفاطمة منه ولنساء معها.

وعاشت صفية حياتها مع الرسول ﷺ محبة له، متوددة إليه، فلما كان النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه، قالت صفية: واللّه يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي. فغمزها أزواجه فأبصرهن النبي ﷺ، فقال لهن: مضمضن!! قلن: من أي شيء؟ قال: من تغامزكن بها، واللّه إنها لصادقة.



ولما حج النبي ﷺ بنسائه، برك بصفية جملها، فبكت وجاء رسول الله ﷺ، فلما أخبروه جعل يمسح دموعها بيده وهى تبكى، وهو ينهاها، فنزل رسول الله ﷺ بالناس، فلما كان عند الرواح قال النبي ﷺ لزَيْنَب بنت جحش: أفقري (امنحى) أختك جملاً وكانت من أكثرهن ظهراً، فقالت زينب: أنا أفقر يهوديتك! فغضب النبي ﷺ فلم يكلمها حتى رجع إلى المدينة، وامتنع عنها طوال شهرى المحرم وصفر، ولم يقسم لها ويئست منه، فلما كان ربيع الأول دخل عليها فلما رآته قالت: يا رسول الله، ما أصنع (تريد عن تكفر عن خطئها فى حق صفية)، وكانت لها جارية تخبؤها من رسول الله ﷺ فقالت: هى لك، فمشى النبي ﷺ إلى سريرها وكان قد رفع، فوضعه بيده ورضى عن أهله.

صفية بعد وفاة النبي ﷺ:

لما مات النبي ﷺ اعتكفت صفية فى بيتها وشغلت نفسها بالطاعة والعبادة، وامتلاً قلبها خشوعاً لله، وكانت -رضى الله عنها- من سيدات النساء عبادة وورعاً وزهداً وبراً وصدقة..

وكانت تعجب فى نفسها من العبادة التى لا يصاحبها خشوع وخضوع لله، فذات يوم.. اجتمع نفر من المسلمين قريباً من حجرتها.. فذكروا الله، وتلوا القرآن، وسجدوا. فنادتهم صفية قائلة لهم: هذا السجود

وتلاوة القرآن، فأين البكاء!!؟

ولم تتخل صفية عن حلمها وصفحها مع الناس جميعاً، فذات مرة، ذهبت جارية لصفية إلى عمر بن الخطاب، فقالت: إن صفية تحب السبت (من المعروف أن اليهود يعظمون يوم السبت)، وتصل اليهود، فبعث عمر يسألها، فقالت: أما السبت فلم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً فأنا أصلها. ثم قالت صفية للجارية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: الشيطان!! قالت صفية: فاذهبي فأنت حرة.

ولما حدثت الفتنة أيام عثمان بن عفان وثار عليه الثائرون وحاصروه في منزله خرجت صفية لتدافع إلى جانب عثمان، حتى لقيها أحد الثائرين على عثمان وهو الأشتر فضرب وجهه بغلته حتى مالت، فقالت: ذروني لا يفضحني هذا.. ثم وضعت خشباً من منزلها إلى منزل عثمان تنقل عليه الماء والطعام.

وفاتها:

وفى سنة خمسين من الهجرة توفيت أم المؤمنين صفية بنت حيى - رضى الله عنها-، وكانت قد قاربت الستين من عمرها، ودفنت بالبقيع إلى جوار قبور من سبقها من زوجات النبي ﷺ.

هذه السلسلة

تُمثِّل سيرة مختصرة ، وسهلة ، ومبسطة لنساء النبي ﷺ فهنَّ الصفوة من النساء ، لأنهن عَشْن في كنف الرسول الكريم ﷺ وتربين على الوحي الإلهي ، المُنَزَّل على قلب النبي ﷺ ، وذلك لتتعرف البنات على أمهاتهن أمهات المؤمنين ، ولتتخذن منهن قدوة حسنة ، في كل ما تميزت به كل واحدة منهن ، وكلهن آثرن الله والدار الآخرة على زينة الحياة الدنيا ، فرضين برضاه من الكفاف .

وقد شملت السلسلة :

- ١- خديجة بنت خويلد .
- ٢- سودة بنت زمعة .
- ٣- عائشة بنت أبي بكر .
- ٤- حفصة بنت عمر .
- ٥- زينب بنت خزيمة .
- ٦- أم سلمة هند بنت أبي أمية .
- ٧- زينب بنت جحش .
- ٨- جويرية بنت الحارث .
- ٩- صفية بنت حيي .
- ١٠- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان .
- ١١- ميمونة بنت الحارث .
- ١٢- مارية بنت شمعون .

والله نسالُ أن ينفع به أبناء أمتنا الإسلامية ،
وهو الهادي ، والموفق إلى صراطه المستقيم ،،،

الناشر